مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٦/٢٥

الأحد ١٨ حزيران

أحد جميع القديسين

تذكار القديس الشهيد لاونديوس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

الرسالة

(عبرانيين ١١:٣٣–٤٠؛ ١٢:١–٢)

يا إخوةُ إنَّ القدِّيسينَ أجمعين بالإيمانِ قهَروا الممالِكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا معسكراتِ الأجانبِ* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزُءَ والجلْدَ والقيودَ أيضاً والسجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غنمٍ ومَعَزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكن العالمُ مستحِقاً لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعدَ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ أن لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلنُلقِ عنَّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ

أحد جميع القديسين

قبل صعوده إلى السماء أوصى الرب يسوع تلاميذه أن يقيموا في مدينة أورشليم إلى أن يُلبسوا «قوَّة من الأعالي» (لو ٢٤:٤٩)، وأضاف قائلاً لهم انكم «ستنالون قوَّةً متى حلَّ الروحُ القدسُ وتكونونَ لي شهوداً في أورشليمَ وفي كلِّ اليهوديَّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرضِ» (أع ١: ٨). وعد الرب تحقق يوم العنصرة وحلَّ الروح القدس على التلاميذ وانطلقوا إلى «أقصى الأرض» مبشِّرين بالخلاص وشاهدين للرب يسوع بأنه ابن الله وناقلين نعمة الروح القدس لكل من قَبِلَ أن يعتمد، أن يموت ويقومٍ مع يسوع، وارتضى أن يكون شاهدا للمسيح.

هكذا، فقد ارتأت الكنيسة انه من اللائق جداً أن نعيِّد في الأحد الذي يلي أحد العنصرة لثمرة الروح القدس، للقديسين، لهذه «السحابة من الشهود» (عبر ١٢:١) الذين نعلم أسماءهم والذين لا نعلم أسماءهم. لأولئك الذين فضَّلوا العيش مع المسيح على العيش مع «رئيس هذا العالم» (يو ١٤:٣٠)، الذين فضَّلوا الموت في بر الله على العيش تحت ناموس هذا العالم وسيِّده الشرير، الذين سمحوا للروح القدس أن يسكن فيهم ويجعل من أجسادهم وقلوبهم وأفكارهم وعقولهم «هياكل للروح القدس» (١كو ٦:١٩). في هذا اليوم نعيِّد لكل من قرر أن يشهد، بنعمة وفعل الروح القدس النازل عليه، للرب يسوع اما بالقول أو بالفكر أو بنمط الحياة أو حتى بالموت والاستشهاد. بكلام بسيط، وحسب إنجيل اليوم، نعيِّد لكل من يعترف بيسوع قدَّام الناس (متى ١٠:٣٢)، لكل مَن فضّل ما للمسيح على ما للعالم، وحمل صليب المسيح وسار في إثره. صحيح أننا كل يوم نعيِّد في الكنيسة لقديس أو أكثر لكن هناك الكثير من القديسين الذين لا نعرف أسماءهم والموجودون منذ الآن في الملكوت في حضرة الرب يعاينونه ويعاينهم وجها لوجه. لجميع هؤلاء الذين لا نعرف أسماءهم، إنما يعرفهم الرب، نعيِّد اليوم. نسمِّيهم الكنيسة الظافرة ونحيا ببركاتهم وشفاعاتهم، نحن الكنيسة المجاهدة التي على الأرض، ونتوق لأن نتشبَّه بهم ونكون على صورتهم وندرك البر الذي أدركوه. في هذا اليوم نطلب شفاعاتهم ونسألهم العضد لكي تتجلى نعمة الروح القدس التي أخذناها يوم معموديتنا ولا نطمرها كما طمر ذاك الإنسان وزنته فطُرد

المحيطةَ بسهولةٍ بنا. ولنسابقْ بالصبرِ في الجهادِ الذي أمامنا* ناظرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّلِهِ يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠:٣٢-٣٧؛ ١٩:٢٧-٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا بهِ قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَن ينكرُني قدَّامَ الناس أنكرُهُ أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أمَّاً أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثرَ مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبَه ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجابَ بطرسُ وقال له هوذا نحن قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكون لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلسون أنتم أيضاً على اثنَيْ عشَرَ كرسيَّاً تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عشَرَ* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أمَّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوَّلُون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوَّلين.

تأمل

ان كنيسة المسيح تكرّم بعد الموت الذين عاشوا

خارج الملكوت.

كل إنسان منّا هو مشروع قداسة. المطلوب قرار واضح باتباع المسيح. ليس المطلوب منا اجتراح العجائب لنكون قديسين، المطلوب أن نرغب في أن نحيا بحسب شريعة المسيح، والروح القدس سوف يساعدنا. لا نريد أن نقارن بيننا وبين عشرات الألوف من المسيحيين الذين استشهدوا في القرون الثلاثة الأولى المسيحية، وقتلوا في القرن العشرين في ظل الحكومات الشيوعية الملحدة، لأنهم جاهروا بإيمانهم. لقد كان السيف مسلّطاً على رقابهم. ما هو السيف المسلَّط علينا اليوم؟ ربما المجتمع الاستهلاكي ومغريات الحياة السهلة مع ما يرافقها من تجارب مغرية للإنسان. وهذه كلها لا تقارن بما احتمله القدماء من عذابات وتنكيلات أدَّت إلى استشهادهم. الضغوطات النفسية والإذلال الذي قد نتعرَّض له من بعض من يعيش حولنا، وربما من الأقربين، هو نوع من السيف المسلَّط علينا. كل هذه لا نستطيع مواجهتها إلا إذا كان لدينا الإيمان بالرب وبوعده اننا بعد الصليب نرث «الحياة الأبدية». التطلّع إلى النهاية، إلى خاتمة الجهاد، أي إلى الملكوت الموعود يشدِّدنا لمتابعة جهاد القداسة.

أخيراً، القداسة تبدأ من العائلة والبيت. إنها مسؤولية الأب والأم وكيف يربيان أولادهما. على الأهل إطعام أولادهم الغذاء الروحي إلى جانب الطعام الأرضي. مَنْ من الأهل، إذا طلب ابنه أمراً ما، لا يسعى بكل جوارحه لكي يؤمنه له؟ ألا يفتش الأرض سعياً وراء ما يرضي ولده؟ فكيف بالأهم، ألا وهو خلاصه؟ لماذا يستهين البعض في تأمينه لأولاده؟ المشكلة ان بعض الأهل قرروا الاستقالة من مهمتهم ومن مسؤوليتهم.

كلٌ واحد منا اعتمد ونال موهبة الروح القدس وصار اسمه «مسيحياً». ونحن مدعوون أن نتصرَّف في الحياة على أننا مسحاء للرب. هل نحن على مستوى هذه الدعوة؟

القداسة

يشمل موضوع القداسة عدّة أمور يرتبط بعضها ببعض بشكل وثيق ابتداءً من قداسة الله وبعد ذلك قداسة المؤمنين ثم الأماكن المقدسة وصولاً إلى الأعمال المقدسة.

ما سنتكلّم عليه في ما يلي هو قداسة المؤمنين، ملقين الضوء على معايير هذه القداسة، أي الأسس الواجبة التي تدلّ على القداسة والتي تقود إليها.

لا بدّ لنا أن نتكلّم أولاً على مصدر هذه القداسة الذي هو الله نفسه، والذي يستقي المؤمنون قداستهم منه. فقد علّمنا الكتاب المقدّس أن الله هو وحده القدوس ولا يوجد إله غيره. لهذا يهتف السيرافيم «قدوسٌ، قدوسٌ، قدوسٌ ربُّ الجنودِ، مجدُهُ مِلءُ كُلِّ الأرض» (أشعياء ٦:٣)، مؤكّدين بهذا التكرار الثلاثيّ على أنّ هذه القداسة مطلقة، وهي بالتالي كاملة. لذا ارتبطت صفة القداسة هذه بالله، ونحن في خدمنا الليتورجية نرتل التسبيح المثلّث التقديس (قدوس الله، قدوس القويّ، قدوس الذي لا يموت ارحمنا)، ونهتف أيضاً مع السيرافيم «قدوس، قدوس، قدوس ربّ الصباؤوت» ونعلن في القداس الإلهي أنّ القدوس واحد فقط وهو الله وابنه يسوع المسيح: «قدوس واحد، ربّ واحد، يسوع المسيح، لمجد الله الآب».

إلاّ أنّ الله ليس منغلقاً على ذاته، فهو المحبة المطلقة التي تخرج من ذاتها فتخلق وتُحيي، وهذا ما فعله الله إذ خلق الكون والإنسان وكل ما

حقيقة بحسب مشيئة الله، وعبر السنة تذكر القديسين في يوم انتقالهم من ههنا. وهي تعرض أمامنا حياة كل واحد منهم من أجل فائدتنا، فتقدم إلينا نهايتهم وتظهرها، سلاميةً كانت أم مكلّلة بإكليل الشهادة. والآن بعد العنصرة تجمعهم كلهم معاً لكي تقدّم إليهم مديحاً مشتركاً، ليس فقط لأنهم كلّهم متحدون فيما بينهم بحسب ابتهال الرب في الإنجيل إلى الآب حيث يقول: «أعطهم أن يكونوا كلهم واحداً كما أنا أيها الآب وأنت، وكما أنت وأنا، هكذا فليكونوا متحدين معنا في الحقيقة». لا تقدّم كنيسة الله إليهم التسبيح المشترك من أجل هذا السبب فقط بل أيضاً لأنها تسعى خلال الأربعين المقدّسة، وبعدها في العنصرة، أن تُظهر أعمالَ الله كلّها وأن تسبّحها. تُظهر كيف خلق الله العالم في البدء، كيف طُرد آدم من الفردوس، كيف قبل الشعب القديم دعوةَ الله، كيف ابتعد بتجاوزاته عن إلفته مع الله، كيف أن ابن الله الوحيد، بعد أن أحنى السموات لينزل إلينا، وبعد صنع العجائب، علّمنا كرازة الخلاص، وتألم ومات من أجلنا، ودُفن كإنسان، وقام كإله في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات من حيث نزل، وجلس عن يمين الآب، وأرسل من هناك الروح الكلي قدسه. بعد أن تذكر كنيسة الله كل هذا، يبقى أن تشير إلى مثل هذا العدد الكبير من الأثمار الجميلة

على الأرض وفي السماء. بعمل المحبة هذا انبثّت قداسة الله أيضاً في خليقته، لأنّها منه وله، فهي دائماً تتّجه نحوه لأنه مصدر حياتها، مثل نبتة دوار الشمس التي يتّجه قرص زهرتها دائماً نحو الشمس. فالخليقة إذاً في حقيقتها مقدّسة، أي إنها ملتصقة بالله وهي خاصته. ولكن الله أعطى أسمى خلائقه، الإنسان، شيئاً مميَّزاً، إذ اشركه في حياته نافخاً فيه نسمة الحياة (تكوين ٢: ٧)، وخلقه على صورته ومثاله (تكوين ١:٢٧)، وأعطاه من سلطانه (تكوين ١:٢٨). إلاّ أن الإنسان، عوض أن يبقى متّجهاً نحو الله خالقه ومصدر حياته، ابتعد عنه معتقداً أنه هو نفسه مصدر هذا الحياة وأنّه يمكن أن يحل محل خالقه، فسقط.

هذا السقوط لم يمنع الله عن الإستمرار في محبّته للإنسان ودعوته باستمرار إلى الرجوع إليه، إلى أن يعي من جديد أنّه خاصيّة الله، أنّه مقدّس له: «إنّي أنا الربُّ إلهُكم فتتقدَّسونَ وتكونونَ قدّيسينَ لأنـي أنا قدّوسٌ» (لاويين ١١:٤٤) «وكلّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: كلِّم كلَّ جماعةِ بني إسرائيلَ وقُلْ لهم تكونونَ قديسينَ لأنّي قدوسٌ الرَّبُّ إلهُكم» (لاويين ١٩:١، أنظر أيضاً لاويين ٢٠:٧ و٢٦؛ ١بط ١:١٦). لا بل يبيِّن لنا الرسول بولس أنّ قداسة الإنسان هي الهدف وهي مرتبطة بوصيّة إلهيّة: «لأنَّ هذه هي إرادةُ اللهِ قداستُكم» (١ تسا ٤:٣).

عرف الله أنّ الإنسان غير قادر بمفرده أن يعود إليه لأنه محصور بأنانيّته ويخشى الموت، لذلك أرسل الله ابنه الوحيد إلى الإنسان، بسببِ من محبّته القصوى له، حتى يقوده في طريق العودة إليه. يسوع المسيح ابن الله أتى إلينا حتى يخلصنا من أنانيّتنا هذه وينقذنا من الموت المتسلّط على طبيعتنا، ويعيدنا إلى الله أبيه جاعلاً إيّانا من جديد، قدّيسين له، أي مخصّصين له.

غير أن عمل الله الخلاصي ليس فعلاً سحرياً، أي إننا لم نخلص بمجرد تجسّد الرب يسوع. الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، ولذلك فهو يتمتّع بمزايا إلهية منها الحريّة. هذا يعني أنّ الله خلق الإنسان وأعطاه حريّة الالتصاق به أو الابتعاد عنه. خلاص الإنسان إذاً يتعلق بإرادة الإنسان، وقد سقط الإنسان بسبب اختياره الابتعاد عن الله، كما شرحنا سابقاً. لهذا فإن قداسة الإنسان مرتبطة بإرادته، الطريق مرسومة أمامه، وهي المسيح نفسه ابن الله المتجسّد (الذي قال «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤:٦))، وما عليه إلاّ السلوك فيها («فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه» (كو ٢:٦)). ما عليه سوى الالتصاق بالرب يسوع. وقد أعطانا الله روحه القدوس في المعمودية حتى يقودنا إلى المسيح والمسيح إلى الله الآب.

وهذا خيار الإنسان، إمّا أن يكون مع الله ويشترك بقداسته فيكون له بالكليّة وينال الحياة، وإما أن يبتعد عنه فيسقط في الموت ويبقى الموت متسلّطاً عليه. بناءً عليه فإن وعي الإنسان أن الله هو مصدر حياته الوحيد ومثاله الرب يسوع نفسه وقائده الروح القدس هو أساس قداسته، وهو المعيار الأساسي الذي يُبنى عليه بناء القداسة: «لا يستطيع أحدٌ أن يضعَ أساساً آخرَ غيرَ الذي وُضِعَ الذي هو يسوعُ المسيحُ» (١كور ٣: ١١).

يمكننا أن نشبّه طريقنا نحو القداسة بالبناء، ولهذا فإن القداسة تقتضي جهداً ومثابرة وإرادة، ومعرفة بأصول البناء الروحي حتى يكتمل البناء فيصل إلى غايته. من

التي جمعها حضور ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح وكذلك الروحِ الكلّي قدسه لكي تحيا أبدياً. تذكر الكنيسة كل هذه الأثمار مع جميع القديسين وتقدّم إليهم في هذا اليوم التسبيح والإكرام.

فلنكرم نحن أيضاً أيها الإخوة قديسي الله. وكيف نكرّمهم؟ إن كنّا نتبع مَثَلهم ونطهّر ذواتنا من كل دنس جسدي وروحي، وإن كنّا نبتعد عن الشرور متقدّمين هكذا نحو القداسة، إن كنا نمنع لساننا عن الحلفان والثرثرة والشتائم وشفاهنا عن الكذب وشهادة الزور، بهذا نستطيع أن نقدّم إليهم المديح. إن لم نطهّر هكذا أنفسنا، سوف يسمع كل واحد منّا عن حق كلمات الله الموجّهة إلى الخاطئ: كيف تتجرّأ أن تأتي على ذكر أسماء القديسين وأن تروي سيرتهم الممتلئة من كل فضيلة وطهارة، وأنت قد أزدريت بعيشة الفضيلة ورميت بعيداً عنك طهارة النفس والجسد...

عندما نعيّد إذاً للقديسين، فليتفكّر كل واحد منا كيف يمكنه أن يبتعد عن خطاياه ويتحرّر منها. فلنعيّد إذاً أيها الإخوة بأجساد ونفوس طاهرة كما يريدها الله خصوصاً في هذه الأيام الاحتفالية، وهكذا بشفاعة القديسين يمكننا أن نشترك نحن أيضاً في ذلك الإحتفال البهيج الذي لا نهاية له.

القديس غريغوريوس بالاماس

أجل ذلك لا بد من وضع الأساس الصحيح لكلّ بناء وقد أشرنا إلى ذلك ونكرر أنّ المسيح هو الأساس الوحيد لبناء القداسة.

في المعمودية نصبح قديسين بالقوة لا بالفعل، أي إننا ننال في المعمودية القدرة على السلوك في طريق القداسة، وكأن الله يضع فينا الأساس ويعطينا خرائط البناء والمقاييس وما علينا إلاّ الشروع بالبناء وأول عمل علينا أن نقوم به هو بناء الأعمدة التي سيقوم عليها البناء كلّه، وهذه الأعمدة هي الوصايا الإلهية. وقد لخّصها لنا الرب يسوع في وصيتين عظيمتين: «تحبُّ الربَّ إلهكَ من كلِّ قلبكَ ومن كل نفسِكَ ومن كلِّ فكركَ... وتحب قريبكَ كنفسك» (متى ٢٢: ٣٧ و٣٩).

ولإكمال البناء نحتاج إلى الفضائل، وهذه الفضائل يكتسبها الإنسان بحفظه للوصايا الإلهية. والروح القدس نفسه يعيننا في سلوكنا في الوصايا فهو «يعِينُ ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلمُ ما نُصلي لأجله كما ينبغي ولكنَّ الروحَ نفسه يشفعُ فينا بأناتٍ لا يُنطَقُ بها» (رو ٨:٢٦). حياتنا هذه بالروح القدس تثمر الفضائل، وهي ما يسميها الرسول بولس ثمار الروح: «أمَّا ثَمَرُ الروحِ فهو محبَّةٌ فرحٌ سلامٌ طولُ أناةٍ لطفٌ صلاحٌ إيمانٌ وداعةٌ تعفُّفٌ» (غلا ٥: ٢٢-٢٣)، وهو يذكرها على سبيل المثال لا الحصر.

مقابل اكتسابنا للفضائل علينا أن نجتنب الرذائل التي تسبِّب خللاً في بناء قداستنا وقد تؤدي إلى تداعي البنيان، ويذكرها الرسول بولس أيضاً على سبيل المثال لا الحصر في رسالته إلى أهل غلاطية مباشرة قبل ذكره لثمار الروح، ويسميها بأعمال الجسد: «وأعمالُ الجسدِ ظاهِرةٌ التي هي زنًى عهارةٌ نجاسةٌ دعارةٌ عِبادةُ الأوثانِ سِحرٌ عداوةٌ خِصامٌ غَيرةٌ سَخطٌ تحزُّبٌ شِقاقٌ بِدعةٌ حسدٌ قتلٌ سُكرٌ بَطَرٌ» (٥: ١٩-٢١).

وأعظم ما يمكن أن يهدم حياتنا ويعيدنا إلى الصفر هو الكبرياء، فبعد أن نكون قد قطعنا شوطاً كبيراً في عملية بناء قداستنا يأتي الشرير ليدغدغنا فيقنعنا أن ما فعلناه قد فعلناه بقدرتنا نحن فنسقط بخطيئة آدم نفسها.

الهدف إذاً من القداسة أن يتصوّر فينا الرب يسوع ولا أحد غيره، أن يكون هو الكل في الكل، وهذا هو المعيار، إذذاك نصبح قديسين بالفعل، كما أن الله قدوس.

حلقة دراسية

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام، تعلن مدرسة القديس كوارتس الرسول للتنشئة اللاهوتية في أبرشية بيروت عن إقامة حلقة دراسية مكثفة حول الكتاب المقدس: إنجيل متى والرسالة إلى أهل كولوسي.

يدير الحلقة قدس الأب بولس طرزي، أستاذ الكتاب المقدس في معهد القديس فلاديمير في نيويورك.

تمتد الحلقة من ٢٤ إلى ٢٨ تموز ٢٠٠٦، ما بين الساعة الرابعة بعد الظهر والثامنة والنصف مساءً، وذلك في قاعة ناديا تويني في مدرسة زهرة الاحسان.

للمراجعة والتسجيل الرجاء الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb